فاوست .. شارل جونود

Charles Gounod FAUST

فكرة هذه الأوبرا مأخوذة من قصة قديمة يرجع عهدها إلى العصور الوسطى، وهي القصة التي خلدها الشاعر الألماني المشهور "جوته" Goethe في مسرحيته التي تحمل نفس الاسم. وقد نظم كلمات الأوبرا "باربييه" Baroier "وكاريه" Carre، ووضع ألحانها الموسيقي الفرنسي "شارل جونود" Charles Gounod، وقدمت لأول مرة في باريس عام ١٨٥٩.

شخصيات الأوبرا:

فاوست: فيلسوف	Faust
مفيستوفيليس: الشيطان	Mephistopheles
فالنتان جنود	Valentin
فاجنر جنود	Wagner
سيبيل جنود	Siebel
مارجريت	Marguerite

جنود – كهنة – ملائكة – شياطين

زمن الأوبرا: القرن السادس عشر

المكان: ألمانيا

الفصل الأول

المنظر الأول - غرفة مكتب

فاوست فيلسوف، أنفق عمره في دراسة اللاهوت والروحانيات، وهو الآن كهل احتفرت التجاعيد وجهه، يفكر في أيام الشباب التي ولت دون أن يتمتع بها. ويسمع وهو جالس إلى مكتبه أصوات الفلاحين وهم يعملون في الحقول ويغنون في نشوة ومرح، فيتلوى الحقد في نفسه ويصبح في حنق:

فاوست: ألا سحقا للإيمان!.. أيها الشيطان ملاك الشر أظهر لي!.

ويقطع سكون الغرفة صوت كالرعد:

الشيطان: هأنذا موجود!

ويرتعد فاوست حينما يبصر "مفيستوفيليس" أمامه.

فاوست: ألا فارغب عن ناظري!

الشيطان: ماذا؟! هل تستدعيني ثم تطلب مني أن أذهب عنك؟ تذكر أنني أستطيع أن أجلب لك الذهب، والقوة، والمجد!

فاوست: لا أريد شيئا من هذا. إنما كل ما أبغيه فجاجة الشباب!

الشيطان: حسنا! سوف يكون لك كل ما تريد، وسيكون أجري بسيطا أنا أخدمك على الأرض، وأنت تجيبني إلى ما أطلبه منك!

ويقدم الشيطان لفاوست كأسا لا يكاد يكرعها حتى يجري في شرايينه دم الشباب الحار.

الشيطان: هيا بنا اتبعني!

ويتبع فاوست الشيطان إلى حيث مباهج الحياة!

المنظر الثاني - سوق المدينة

تغص السوق بالجنود الذين أوشكوا على مغادرة المدينة إلى الحرب. الحركة والمرح يغمران المكان، ولكن أحد الجنود – فالنتان– يبدو على وجهه الهم والكآبة. وإذ يسأله صديقاه فاجنر وسيبيل عن سبب حزنه يجيب:

– من الذي سيعني بشقيقتي مارجريت عندما أذهب للحرب؟

– إننا جميعا سنقوم على خدمتهاّ..

وهنا يظهر "مفستوفيليس" من حيث لا يشعر بمقدمه أحد، وينضم إلى ثلة الجنود، ثم يبدأ يغني أغنية فيها كثير من التبذل والمجون. وعندما يفرغ منها يقدم للجميع كؤوس الخمر، ويرفع كأسه إلى فمه ويقول:

– نخب مارجريت!

ويسحب فالنتين سيفه، ولكنه لا يكاد ينظر فيه حتى يتبين أنه قد كسر! وهنا يدرك الجنود أنهم في حضرة شيطان يرتدي ملابس آدمي! فيغادرون المكان وقد تملكهم الرعب.

وفي هذه اللحظة يأتي فاوست باحثا عن صديقه الشيطان، وإذ يراه يسأله:

فاوست: متى سأرى مارجريت؟

الشيطان: إنها ستكون هنا بعد قليل!

ويظهر من بعيد الجندي سيبيل. لقد جاء يترقب مارجريت التي جن بحبها.

وبعد قليل تأتي مارجريت في طريقها ذاهبة إلى الكنيسة، فيتقدم منها فاوست ويسألها:

– هل أرافقك؟

وترفض مارجريت، فيبقى فاوست يتبعها بعينيه الجائعتين ويقول:

– لقد أحببتها!

الفصل الثاني

المنظر - حديقة منزل مارجريت

يذهب الجندي العاشق سيبيل إلى منزل حبيبته فيترك باقة من الزهر على عتبة الباب علامة على حبه لها، ثم ينصرف.

وهنا يصل مفستوفيليس وفاوست فتقع عيناهما على باقة الورد. ويسخر الشيطان من هذه الهدية المتواضعة، فيعد بأن يقدم لمارجريت هدية أكثر منها قيمة وإغراء. ويختفي لحظة ثم يعود حاملا علبة مملوءة بالمجوهرات ليكسف بها هدية الجندي التافهة!

وتصل مارجريت فتعثر على علبة المجوهرات فوق عتبة الباب. وفي هذه اللحظة يظهر لها فاوست ويحدثها قائلا:

فاوست: إنك وحيدة!

مارجريت: نعم، فقد ماتت أمي وذهب شقيقي إلى الحرب.

ويقدم فاوست يده إلى الفتاة ثم يتجول معها بين أشجار الحديقة.

ويسر الشيطان – الذي يبقى مختفيا يراقب الحبيبين – للتأثير الناجح الذي أحدثته المجوهرات، فيأمر الأزهار بأن ترسل عبيقا يزكي حب مارجريت لفاوست!

ويعود الحبيبين بعد قليل، فتستأذن مارجريت في الانصراف وتصعد إلى منزلها بعد أن تعد فاوست بمقابلته في اليوم التالي.

وهنا يظهر الشيطان ويوجه كلامه إلى فاوست مؤنبا:

الشيطان: ألا تدرك أن الفتاة ملك لك؟!

ثم يشير إلى غرفة نومها. ويتسلق فاوست إلى مخدع مارجريت وقد تأججت شهوته، فيجدها تطل من النافذة وتنظر إلى النجوم وهي سابحة في ذرى الخيال...

الفصل الثالث

المنظر الأول - كنيسة

استسلمت مارجريت لفاوست، ولكنه هجرها بعد أن قضى وطره منها... وهي الآن جاثية في الكنيسة تطلب من الله أن يغفر لها ذلتها ودموعها سيول لا يقف لها انصباب.

وفجأة تسمع صوتا يصيح:

– كفى صلاة، فإنه لن يغفر لك!..

وترتعد الفتاة البائسة وتصيح:

– رباه! أي مصير ذلك الذي ينتظرني؟!

ويسمع صوت خافت حزين. إنه صوت الكهنة يرتلون للصلاة

ومرة أخرى يرتفع صوت الشيطان!

– ودعي ليالي الحب يا مارجريت، فإن روحك الآن ملعونة!

وتخر الفتاة على الأرض والخوف يرعش أطرافها.

المنظر الثاني – ميدان عام

تبتهج المدينة بعودة الجنود من الحرب. ويعلم فالنتان – شقيق مارجريت – بما حدث لشقيقته، فما أن تقع عينه على فاوست حتى يدعوه للنزال، ولكن قوة فاوست الشيطانية تقهر الجندي فيقع على الأرض بين الحياة والموت. ويتجمع الجنود حول زميلهم المصاب، وتسرع مارجريت نحو مصدر الاستغاثة. ولكن فالنتان لا يكاد يراها حتى يقول في صوت خافت مذبوح:

فالنتان: إليك عني! لقد قتلني عشيقك. ولو أن الله قد يغفر لك، إلا أنني ألعنك بكل ما تبقى لي من أنفاس.

وتتعثر الفتاة وهي تتجه نحو منزلها وتجهش ببكاء هستيري أليم.

الفصل الرابع

المنظر - السجن

تثبت على مارجريت تهمة قتل الطفل الذي أنجبته سفاحا من فاوست، فتزج في السجن في انتظار صدور حكم الإعدام. ويتسلل فاوست خلسة مع مفستوفيليس ليحمل حبيبته على الفرار، فيجدها راقدة على فراش من القش.

فاوست: هيا بنا، يجب أن نهرب!

وترتاع الفتاة لمنظر الشيطان الماثل أمامها، فتصيح والخوف يرتج فوق شفتيها: الشيطان!

ثم تجثو على ركبتيها وتسترفد رحمة الله.

فاوست: مارجريت! يجب أن نبرح من هنا!

مارجريت: ألا أغرب عني، فإنني أمقت رؤيتك!

ثم تطلق صيحة جنونية تسقط بعدها على الأرض وقد فارقت الحياة.

ويقول الشيطان في جذل:

– إن روحها لي!

ولكن أصواتا سماوية غير منظورة تجيبه منشدة:

– كلا! فإن مصيرها الخلاص!

ستار